المحاضرة الرابعة: إشكالية تحقيب الفلسفة اليونانية.

مقدمة.

يطرح بعض فلاسفة التاريخ المتطرفين سؤال كينونة التاريخ ذاته، بمعنى أنهم يشكون في وجود التاريخ هناك بمعزل عن الذات المفكرة. وكأن ما نسميه بلا تفكير وروية التاريخ من صنع المؤرخ رأسا، وليس له وجود مستقل عن فكر الإنسان. لأننا عندما ندرس التاريخ، سواء تاريخ الأحداث أو تاريخ الأفكار أو تاريخ الذهنيات، فإننا نعتقد بأن ما يصفه المؤرخ قائم بالفعل هناك، وما علينا إلا الكشف عنه ومعرفته وحفظه. لكن الحقيقة أن كل تاريخ من صنع المؤرخ ذاته. بدليل أن هناك حوادث وأفكار اندثرت بلا رجعه، وهناك من يسأل عن سر الاحتفاظ بتاريخ ما وإهمال تاريخ آخر ؟ هذه الانتقائية دالة عن تدخل الذات المفكرة أو الذات المؤرخة.

مسألة تحقيب التاريخ، هي أيضا دالة على ذاتية العلمية، على أساس أن تسيج المراحل التاريخية لا تختلف على تسييج القطع الأرضية، فالكل يقتطع وفق أهدافه وتكوينه. فهل أن مراحل التاريخ حقيقية أو ضرورية ؟ يمكن التأكيد على أن كل تحقيب أمر نسبي، فالمرحلة القديمة نسبية إلى المرحلة الجديدة، والمرحلة الجديدة نسبية إلى المرحلة الوسيطية...الخ. وبالتالي فإن تدفق التاريخ سيؤدي حتما إلى تغيير التقسيمات. فالمرحلة الوسطية، بعد مرور قرون طويلة ستتحول إلى قديمة أو ما قبل القديمة، والحديث سيتحول إلى وسيط...الخ. لذا فالتقسيم قابل للتغير دوما وبلا نهاية. ويعتقد شبنجلر أن تقسيم التاريخ إلى قديم ووسيط وحديث تقسيم يغطي ويحجب حقيقة الجنس البشري ككل،[1] كما أنه يمركز الغرب في قلبه، مهمشا بقية التواريخ. وقد لاحظ البعض أن التقويم التاريخي الحالي دالة من دوال هيمنة الغرب الكثيرة.

وتاريخ الفلسفة لا يشذ عن التاريخ العام، بمعنى أنه جزء منه وتابع لمساره. وكون تحقيب التاريخ العام نسبي، فهذا يعني أن تحقيب تاريخ الفلسفة نسبيٌ بالضرورة. والملاحظ أن تقسيم تاريخ الفلسفة لا ينفصل عن المواقف الفلسفية. فنحن في سياقاتنا الإسلامية، نحتج دوما على عدم ادراج تاريخ الفلسفة الإسلامية في مجمل تاريخ الفلسفة العالمية، على أساس أنها فلسفة لا تقل في أصالتها وعطائها عن بقية الفلسفات. وهذا الاقصاء يدل على موقف كثيرا ما تم التعبير عنه في الدرس الإستشراقي، على شاكلة أن الفلسفة الإسلامية فلسفة إغريقية مكتوبة بأحرف عربية، أو على شاكلة الفلسفة والدين لا يلتقيان والفلسفة الإسلامية دينية في تسميتها وفي جوهرها، لذا فهي ليست فلسفة إلا على سبيل المجاز...الخ. وبلغ تطرف بعض الفلاسفة تجاه فلسفة العصور الوسطى الدينية، بأن اعتبروها "الفلسفة المستحيلة". فمثلا نجد هيدجر يقر بأن القول بوجود الفلسفة المسيحية كالقول بوجود دائرة مربعة أو مربع دائري !"[2] لكن هذا الموقف الذي يلغى وجود فلسفة دينية وسيطية ، سواء مسيحية أو يهودية أو إسلامية، ليس إلا موقف فلسفي، وبالتالي فإن التوجهات الفلسفية هي التي تحدد

[1] أسوالد اشبنجلر: تدهور الحضارة الغربية، الجزء الأول، ترجمة أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ص 60، 401.

[2] Martin Heidegger: Introduction à la métaphysique, traduit Gilbert Kahn, édition Gallimard, Paris, 1967, p 20.

العصور الفلسفية، في اللحظة التي تولد هذه العصور أضرب من هذه التوجهات. لذا فهناك علاقة جدلية بين المذهب الفلسفي وترسيمات أو تقسيمات تاريخ الفلسفة. فتاريخ الفلسفة يولد المذاهب التي تولده بدورها.

هذه الحقيقة قالها هيجل منذ ثلاثة قرون، عندما ربط بين تاريخ الفلسفة والفلسفة. بمعنى أن نمط التفلسف، والذي نسميه بالمذهب أو النزوع أو الانتماء الفلسفي هو الذي يؤثر في الفيلسوف لكي يؤرخ لفلسفته أو لفلسفة غيره. وبالتالي يتحول تاريخ الفلسفة إلى حقل للممارسة الفلسفية، في نفس اللحظة التي تتشكل الفلسفات وفق التاريخ ذاته. لقد اعتقد هيجل بأن هناك تعالق بين الفلسفة كعقلانية وعقلانية التاريخ الفلسفي؛ يقول: "إن الفلسفة معرفة عقلانية، ولا مناص لتاريخ تطورها من أن يكون شيئا معقلنا، وبالتالي يجب أن يكون فلسفيا تاريخ الفلسفة ذاته".[3] لذا، فلا يمكن أن تكون هناك فلسفة ما خارج تاريخ الفلسفة الذي تفلسفه، يقول ياسبرس بأن الفيلسوف، وفي اللحظة التي يريد أن يرى تاريخ الفلسفة من الخارج، توصيفا وتقسيما ونقدا، فهو منغمس فيه ومتشكل منه إلى أبعد الحدود.[4] وبالتالي فهناك جدل دوري أو حلقي بين مؤرخ الفلسفة وتاريخ الفلسفة. فالمؤرخ يتشكل في مسار تاريخ الفلسفة كما أنه يسهم في تشكيله عن طريق إضافته الفلسفية، وعن طريق تقسيمه لهذا التاريخ وفق توجهه المعلوم.

يجب أن نعترف بأن الفلسفة الإغريقية تمثل تراث الغرب، على الرغم من طابعها العالمي، بخاصة بعد موت الإسكندر، حيث أصبحت الهيلينة ظاهرة عالمية، من خلال بسط الثقافة واللغة الإغريقيين. وبالتالي، فإن تحقيب هذه الفلسفة تحولت إلى مسألة تابعة لتقاليد الفلسفة الغربية ذاتها، وقلما نجد فلاسفة العرب أو مؤرخي الفلسفة العرب، يقدمون تحقيبا خاصا بها. باستثناء الدكتور عبد الرحمن بدوى الذي أرخ للفلسفة الإغريقية، والذي خطا خطوات شبنجلر، مثلما سنظهر ذلك في موقعه، فإن جميع مؤرخي الفلسفة العرب لم يعدلوا من تحقيبها، أو لم يخوضوا في التحقيب على الإطلاق وكأن المسألة محسومة. نجد محاولة معتبره في مؤلفات مؤرخ الفلسفة الجديد الدكتور الطيب بوعزة، فيها طبع تعليمات منهجية تمت بصلة لنسق الفلسفة الطهائية (نسبة إلى المفكر طه عبد الرحمن)، قائمة على خطوتين أساسيتين:

- تفسير النظرية الفلسفة الإغريقية، مهما كانت، بما سبقها وليس بما لحقها. أي ضرورة الإحالة إلى الما وراء أو الما قبل.[5]

[3] هيجل: محاضرات في تاريخ الفلسفة (مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها)، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1986، ص 29.

[4] كارل ياسبرس: عظمة الفلسفة، ترجمة عادل العوّا، منشورات عويدات، بيروت – باريس، الطبعة الرابعة، 1988، ص 29.

[5] الطيب بوعزة: في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة – نقد التمركز الأوروبي، مركز نماء للبحث والدراسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2012، ص 19.

- ردم الهوة بين المرحلة الميثولوجية والمرحلة العلمية من خلال برهنته على أن الفلسفة الإغريقية مثلت استئناف للمرحلة الشرقية واستمرار للمرحلة الميطيقية ويمكن أن نلاحظ الأسطورة حتى في الفلسفات الطبيعية والذرية،[6] وهو ما أظهرناه في المحاضرة الثانية، مركزين على الفلسفة الملطية فقط.

كما أنه، أي مؤرخ الفلسفة الطيب بوعزة، قدم مسار كلي للفكر الغربي، وهذا يعتبر مهمة استغرابية ناجحة ومعقولة، على أساس أنه لاحظ ثلاثة مراحل في الفكر الغربي وكأنها متتالية ونابعة من منظور خاص للوجود. يقول: "قوانين تطور فعل التفلسف الأوروبي هي:[7]

- الإدراك (اللوغوس): تمثل المرحلة اليونانية والمسيحية حيث كان العقل يسعي لفهم حقيقة الوجود.
- الحيازة (التقنية): تمثل المرحلة الحديثة حيث أصبح العقل يهدف للسيطرة على الوجود. من خلال نموذج الفلسفة الديكارتية والبيكونية.
- الإلتذاذ (الإيروس): تمثل مرحلة ما بعد الحداثة وسقوط السرديات الكبرى للحقيقة، وعندما يئس العقل من ادراك الحقيقة، قرر التلذذ بالوجود من خلال تعظيم الجسد وصعود الجماليات وعقيدة اللاجدوى.

لكن الطيب بوعزة يفصل في المرحلة الأولى فقط، أي مرحلة اللوغوس الخاصة بالمرحلة اليونانية. ولم يخض في تفاصيل المرحلة الثانية والثالثة (أي التقنية والإلتذاذية) لغاية ما أصدره الأن من دراسات. وهو ما يمثل استجابة لمشكلة المحاضرة ككل. وبالتالي، يكون أهم مؤرخ عربي قدم تحقيبا للفلسفة الإغريقية. وهذا ما سنتناوله أدناه.

نقصد بتحقيب الفلسفة الإغريقية عملية التأريخ لها وتقسيمها إلى مراحل متجانسة من أجل فهم النسق الذي تطورت به هذه الفلسفة. وحسب هيجل دائما، على اعتباره أب التأريخ الفلسفي للفلسفة، فإن تاريخ الفلسفة يمثل تاريخ العقل ذاته، وبالتالي فهناك نسق ثاوي في مسار تاريخ الفلسفات والنظريات والمذاهب في مرحلة ما. لذا، فقد عمل العديد من مؤرخي الفلسفة، بداية من أرسطو في الألفا الكبرى من الميتافيزيقا، باعتباره أول مؤرخ للفلسفة، على ترتيب هذه الفلسفة في نسق ما. وهذا ما فعله كل مؤرخي الفلسفة من بعده. وبما أن هناك أكثر من فلسفة، فسيكون هناك أيضا أكثر من تقسيم للفلسفة اليونانية. فلكل فيلسوف طريقة ما في هذا التقسيم، يعكس مذهبه ومصادره ومنظوره للعالم وطرق تفكيره. لذا فإشكالية المحاضرة هي: ما سبب تكوثر تحقيبات الفلسفة الإغريقية ؟ كيف أن تاريخ الفلسفة ينشأ فلسفة التي تقوم بتحقيبه ؟ ما قيمة المساهمات العربية المعاصرة في تحقيب الفلسفة الإغريقية ؟ هل فعلا أن هناك ناظم منهجي أحكم تاريخ الفلسفة الإغريقية التي تبدأ بطاليس في القرن السادس لتنتهي في الإسكندرية في القرن الثاني بعد الميلاد ؟ أم أنه تاريخ فوضوي على حد تعبير فيرابند، لا يعكس أي ناظم معرفي ما ؟ نطرح هذا السؤال الأخير، على

---

[6] الطيب بوعزة: أفول التفلسف الأيوني– قراءة في أطاريح أمبادوقليس، أنكساغور، لوقيبوس،ديمقريط، ديوجين، أرخيلاوس،هيبو، ميطرودود، مركز نماء للبحوث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2016، ص 205.

[7] الطيب بوعزة: الفلسفة اليونانية ما قبل السقراطية– الفلسفة الملطية أو لحظة التأسيس، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2013، ص 23.

أساس أننا، تحت تأثير هيجل، نفترض بأن هناك عقل خفي ينظم حركة تاريخ الأفكار، وكأن كل كتاب فلسفي متولد من كتاب سابق له ويؤدي إلى تأليف كتاب لاحق. في حين أن الفلسفات اللا هيجلية وهي عديدة، تتحدث عن بطلان فرضية التاريخ الكوني الذي يزعم وجود خيط ناظم لمساره.

أولا- تاريخ اليونان وتاريخ فلسفة اليونان.

من الصواب التأكيد على أن تاريخ الفلسفة اليونانية يمثل حقبة محدودة من تاريخ اليونان ككل. سواء في بدايتها أو في نهايتها. ومن المفيد الإشارة إلى أن وجود أسباب لبداية الفلسفة القديمة يعني وجود أسباب لانحلالها. وهذا أيضا ما بحثه العديد من مؤرخي الفلسفة الإغريقية والفلاسفة المتأغريقين، بخاصة الألمان منهم. تمثل مرحلة الفلسفة اليونانية جزء ضئيل مقارنة بالتاريخ الإجمالي لليونان. فمجمل تاريخ هذه الفلسفة يمثل ما يقارب أو فوق قليلا الـ 11 قرنا، أي من القرن الخامس قبل الميلاد إلى غاية غلق الأكاديمية في منتصف القرن السادس للميلاد، وبالضبط سنة 529 م بقرار إمبراطوري.[8] ومن هذا التاريخ بالذات تبدأ الأزمة الوسيطية التي دخلت مرحلة غلبة العقيدة على الفكر الحر. كانت قبل هذا التاريخ أحداث في الإسكندرية تنبأ بتحول خطير لصالح العقيدة، ونقصد طبعا احراق العالمة والفيلسوفة الأفلوطينية هيباتيا سنة 415.[9] حيث أصبحت عقيدة الغوغاء المسيحيين حاكما على العقل العلمي الحر الباحث عن الحقيقة.

ولو أنه يظهر أن 1100 سنة من الفلسفة يبدو تاريخا طويلا جدا، إلا أنه مقارنة بتاريخ الإغريق الكلي، الذي يمتد من الألفية الثانية قبل الميلاد إلى القرن السابع من العصر المسيحي، لا يمثل إلا نسبة ضئيلة. حيث أن تاريخ الإغريق مر بأربعة مراحل هي:

- عصور الظلام Dark ages 1100-800. ظهرت بعد الثقافة الميسينية التي سقطت في القرن 12 قبل الميلاد.
- البدائية القديمة archaic 800-490.
- **الكلاسكية antiquity 490-323.**
- الهيللينية Hellinistics 323-146.[10] والتي انتهت بسقوط مملكة مقدونيا بالعزو الروماني.

---

[8] بيير هادو: الفلسفة طريقة حياة – التدريبات الروحية من سقراط إلى فوكو، ترجمة عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2019، ص 79. أيضا: الطيب بوعزة: الفلسفة اليونانية ما قبل السقراطية- الفلسفة الملطية أو لحظة التأسيس، مرجع سابق، ص ص 18-141.

[9] جون دوكر: أصول العنف – الدين، والتاريخ، والإبادة، ترجمة علي مزهر، جامعة الكوفة ودار الرافدين، الطبعة الأولى، بيروت، 2018، ص 299.

[10] جاك غودي: سرقة التاريخ، ترجمة محمد محمود التوبة، العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 2010، ص 18. أيضا: ألكسندر كرافتشوك: الوثنية والمسيحية- مرحلة الصراع الحاسمة وإيقاف الأولمبيادات في العصر القديم عام 393، ترجمة كبرو لحدو، دار

وقد ضغطنا باللون الأسود على المرحلة الثالثة، من أجل ابراز الحقبة الفلسفية الحقيقية. والتي بدأت مع طاليس إلى غاية موت الإسكندر ومن بعد ذلك بقليل أرسطو الذي مثل نهاية حقبة فلسفية ثرية بكل المقاييس. أما المرحلة المهلينة، أي التي انتشرت فيه الثقافة الإغريقية في الشرق الأقصى حتى الهند، وفي أفريقيا بعد سقوط الحكم المقدوني في أثينا حيث تم تهريب اللوسيوم إلى الإسكندرية. فلم يحصل حولها اجماع حقيقي حول فلسفيتها من عدمه. لأن البعض من المؤرخين والفلاسفة المتعصبين للأغرقة، اعتقدوا ان انفتاح اليونان على الخارج قد سبب في تسرب عقائد شرقية قتلت شيئا فشيئا الروح الإغريقي المخصوص بالديمقراطية والفكر الحر وعبادة الحياة...الخ. بل أن البعض، مثل نيتشه، قد ربط موت الفلسفة الإغريقية بفتوحات الإسكندر، الذي ألغى أي حاجز ثقافي بين الشرق والغرب. وهناك من يربطها بتصلب العقائد المسيحية وبداية العصور الوسطى الدينية والتي اعتبرت كل فلسفة استمرار للوثنية التي يجب أن تزول امام التوحيد المسيحي. ولما اقدم الإمبراطور جوستنيان (منتصف القرن السادس ميلادي) على غلق الأكاديمية، بعد وقوع أثينا في قبضة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، إلا قرارا قاضيا على نهاية الفلسفة الإغريقية القديمة إلى الأبد. هنا أصبح الدين سببا في توقف الفلسفة. ولئن كانت هناك فلسفة في العصور الوسطى، فهي أداة لتقوية العقيدة المسيحية، لقد أصبح الفكر الحر عبدا للعقيدة الدينية.

ما العلاقة التي يمكن أن نلاحظها بين تاريخ اليونان الإجمالي وتاريخ الفلسفة اليونانية ؟ سؤال مهم على اعتبار أن الفلسفة اليونانية ليست قطعة دخيلة على تاريخ اليونان. بل على العكس ما هي إلا نتيجة لتشكل هذا التاريخ. بعد الفوران الحربي والتنقلات والحروب والإبادات في عصور الظلام التي انتهت بسقوط الحضارة المسينية وبداية الاستقرار وتشكل المدن والأعراف، بدأت المرحلة القديمة التي تشكلت فيها النصوص التأسيسية متمثلة في الملاحم والأشعار الاجتماعية والتربوية. وميزة أشعار هوميروس أنها "ساعدت على توحيد اللغة اليونانية. ثم أن أصبحت انجيلا للشعب اليوناني. لكنه كان كتابا غير مقدس بعيدا عن أي شيء كهنوتي، خاليا من الطير والسحر إلى درجة تدعو إلى الاعجاب، وفي هذا ما يبرر القول بأن هذا الشاعر الأيوني أبو العلماء الأيونيين".[11] وهذا النص يدلنا على أن المرحلة الأسطورية أقل أسطورية مثلما أن المرحلة الفلسفية أقل فلسفية، فليس هناك خط قاطع بينهما مثلما أثبتنا في المحاضرة الثانية. كما أن تشكل نظام الدولة المدينة، الذي نقل الفرد الإغريقي من قيود العائلة والقبيلة ليصبح إنسان سياسي حر. إذن فالدولة المدينة حررت الفرد بما جعله يفكر بمعزل عن قيوده الأصلية الطبيعية.[12] ونحن نعلم أن نظام الدولة المدينة يعتبر استجابة إنسانية ناجحة لظروف طبيعية وجغرافية. فلولا الظروف الطبيعية متمثلة في الجبال والعوازل الجغرافية لما

الحصاد، دون مكان، 1996، ص 25. أيضا: أرنولد توينبي: تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة رمزي جرجس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003 ، ص 267.

[11] جورج سارتون: تاريخ العلم، الجزء الأول، الكتاب الأول: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان –1 الأصول الشرقية واليونانية، ترجمة لفيف من العلماء، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1976، ص ص 297–378. في مسألة واقعية الإلياذة نجد: جان بيار فرنان: أصول الفكر اليوناني، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1987، ص 32.

[12] أرنولد توينبي: تاريخ الحضارة الهلينية، مرجع سابق، ص 90.

نشأت النزعة الاستقلالية التي تجسدت في الدولة المدينة. وقد سبق أن ناقشنا الأسباب السياسية لظهور الفلسفة في المحاضرة الثالثة.

يمكن أن نلاحظ علاقة وطيدة بين نهاية المرحلة الظلامية التي كانت قائمة على حكم السلالات الملكية وبين نشأة الفكر العقلاني. على أساس أن انحسار السياسية الثيولوجية، أين يكون الحاكم إلها، يساعد بالضرورة على تحرر الفرد من الملكية التي تضع حدود للروح والفكر الحر. يقول فرنان: "انهيار القوة المسينية في القرن الـ 12 ق م أمام القبائل الدورية، أدى إلى سقوط السلالة الملكية وتدمير النمط الملكي، واختفت شخصية الملك الإلهي (...) وتأسست الدولة المدينة ونشأة الفكر العقلاني".[13]

إذن فتاريخ الفلسفة اليونانية جزء لا ينفصل عن تاريخ اليونان ككل، سواء من جانب التاريخ السياسي أو العسكري. فقد ارتبط توجه بعض المدارس الإغريقية بالظروف العسكرية، نذكر مثلا التوجه الديني في مدارس غرب اليونان، مثل الإيلية والفيثاغورية، لم ينفصل عن الحملة العسكرية الفارسية على الجانب الشرقي لليونان في القرن الخامس قبل الميلاد،[14] مما خلق موجه هجرة كبيرة للغرب، وتوجه الفكر إلى الاهتمام بالدين باعتباره خلاصا من عدم الاستقرار الدنيوي. كما أن البعض من القضايا الفلسفية ارتبطت بالديمقراطية الأثينية، مثل قضية سقراط، حيث خلق جدل مثمر بين الفلسفة والسياسة.

ثانيا– تحقيب الفلسفة الإغريقية.

هناك ارتباط قوي بين المذهب الفلسفي لمؤرخ الفلسفة وتحقيب الفلسفة الإغريقية، لذا نجد بعض التحقيبات ثلاثية وأخرى رباعية والبعض الآخر ثنائية. وهذا الاختلاف يدل على أن التقسيم المرحلي ليس إلا استجابة لفلسفة ذات خصوصيات. فنجد البعض ركز على الأعراق التي شكلت حضارة الإغريق أي الدوريين والأيونيين، البعض الآخر اعتمد على منطق الجدل الذي يتحكم في مجمل التاريخ العالمي. ونجد البعض الآخر ربط تاريخ الفلسفة بتاريخ الحضارة، على أساس أنها انعكاس لها. والبعض الآخر قدم تقسيم مرتبط بالموضوعات والمناهج. وهذا التنوع دالة فعل الفلسفة في تاريخ الفلسفة ذاته.

1–التحقيب العرقي.

يقدم كل من "فريدريك آست F. Ast" (له كتاب مبحث في تاريخ الفلسفة، 1807) و"ركسنر" Th. N. Rixner (له كتاب تاريخ الفلسفة، 1822) و"برانيس" تقسيما قائما على التميز العرقي أو الجنسي الإغريقي. ففي تقديرهما أن هناك عرقين أساسيين في اليونان: العرق الأيوني والذي يمتاز بكونه واقعيا في تفكيره. والعرق الدوري المثالي. وبالتالي يمكن ملاحظة أدوار للفلسفة اليونانية مرتبطة بالأعراق على الشكل التالي: العصر الأيوني، والعصر الدوري، والعصر الآتيكي [أتيكا هي المقاطعة التي تقع فيها أثينا] المختلط. ومن هنا صاغوا عصور الفلسفة الإغريقية كما يلي:

---

[13] جان بيار فرنان: أصول الفكر اليوناني، مرجع سابق، ص 6.

[14] الطيب بوعزة: كزينوفان والفلسفة الإيلية – قراءة في أطاريح كزينوفان، برمنيدس، زينون، ميليسيوس، مركز نماء للبحوث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2016، ص 14.

- العصر الأول: ويضم المدرسة الأيونية وهيراقليطس وهم أيونيون (واقعيون)، إلى جانب بارمنيدس وفيثاغورس وهو دوريون (مثاليون). والموضوع العام لهذا العصر هو دراسة الطبيعة.

- العصر الثاني: الفلسفات الذرية والطبيعية المتأخرة، توجهت إلى إيجاد الروح الكلية أو المطلقة، وكلهم اهتموا بالطبيعة. الأسماء المذكورة في هذه الحقبة هم أنباذوقليس وأنكاسكاغور، وديمقريطس ودوجين الأبولوني.

- العصر الثالث: تمتد من سقراط إلى نهاية الفلسفة الإغريقية، عملت هذه المرحلة على ايجاد روح جديدة للفكر تعويضا عن الروح التي هدمتها الفلسفة السوفسطائية.[15]

نقد الدكتور إدوارد تسيلر Edouard Zeller (1908/1814)، أستاذ الفلسفة بجامعة برلين، هذا التقسيم، لأسباب منها: لا يظهر أي فرق واضح بين فلسفة العصر الأول والثاني، وبالتالي يطرح سبب التقسم أصلا، إذ كلاهما يدرس الطبيعة. والملاحظ ثانيا أن العصر الثالث يضم فلاسفة كبار، واتجاهات عديدة، أكثر بكثير مما يوجد في العصرين الأول والثاني. مما يطرح فرضية وجود خلل في التقسيم. ثم إنه تقسيم لم يظهر المنعطف الذي اتخذته الفلسفة بعد أرسطو حيث اهتمت بالأخلاق وخلاص الروح على حساب المعرفة.

2-التحقيب الجدلي لهيجل.

من أهم الفلاسفة الذين طبقوا منهجهم الجدلي في تقسيم الفلسفة الإغريقية، حيث يظهر أن الفكرة تمثل عصر بأكمله، تقابلها فكرة نقيضة لعصر آخر، ومرحلة تركيبة تمثل فكرة جديدة. اطلع على أعمال آست وريكسنر الذين أشرنا إليهم أعلاه، وعلى أعمال أخرى متعلقة بتاريخ الفلسفة الإغريقية، أمثال ديوجين لايرتوس، وبروكري، ووندت.[16] ويأتي هذا التحقيب على الشكل التالي:

- العصر الأول: يبدأ من طاليس إلى سقراط وأرسطو، تبدأ بالطبيعة الخارجية، تعيين الفكرة في صورتها الطبيعية، أو بالعكس تبدأ الفلسفة بالتجريد وتكتمل الماهية عند أناكساغوراس.[17] هذا العصر هو عصر الوحدة، وفيه وصلت الفكرة المطلقة إلى أعلى درجة من درجات تحققها. وهذا العصر الأول، بدوره ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

1- القسم الأول: امتد من طاليس إلى أناكساغور. على أساس أن الفكرة وصلت إلى التعيين في النوس.

2- القسم الثاني: تبدأ بالسوفسطائية، وسقراط والمدارس السقراطية. وهنا انحلت الفكرة المطلقة.

3- القسم الثالث: يضم فلسفتي أفلاطون وأرسطو، وهنا عادت وحدة الفكرة من جديد وبلغت قمة كمالها.

- العصر الثاني: إذا كانت الفكرة قد اكتملت على يد أرسطو، فقد تمت الثورة على هذه الوحدة، وانقسمت إلى شيئين هما:

---

[15] عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات النشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1984، مادة الفلسفة اليونانية، ص 173.

[16] هيجل: محاضرات في تاريخ الفلسفة (مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها)، مرجع سابق، ص ص 118-122.

[17] هيجل: محاضرات في تاريخ الفلسفة (مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها)، مرجع سابق، ص 324.

1- الموضوع: يشمل الفلسفات الإيقانية أو التوكيدية ممثلة في المدارس الأخلاقية عند الرواقية والأبيقورية.

2- نقيض الموضوع: أي كل فلسفة مضادة لليقين، وهي الفلسفات الشكية التي أنكرت كل معرفة ممكنة.[18]

- العصر الثالث: تمثل الفلسفة الأفلاطونية المحدثة في الأسكندرية، وفيها يكتمل المفهوم في عالم معقول.[19] إنها تمثل سلب للسلب، أي عودة الفكرة المطلقة من جديد.

قدم تسيلر أيضا مراجعة نقدية لتقسيم هيجل، على أساس عدم تناسب المراحل، إذ تبدو المرحلة الأولى أطول بكثير مقارنة بالمرحلة الثانية والثالثة. وعندما اعتبر هيجل السوفسطائية بداية لفكر جديد، فقد تغافل عن كونها نهاية مرحلة بأكملها أكثر مما هي ابتداء، على الرغم من أن العديد سيتحفظ على هذه الملحوظة، لأن السوفسطائيين لم ينتقدوا القديم بل فتحوا موضوعا جديدا وهو فلسفة المدينة والإنسان، إلا إذا اعتبرنا سقراط مثلا سوفسطائيا.[20]

3-تحقيب ادوارد تسلر Zeller.

قدم اللاهوتي ومؤرخ الفلسفة والأستاذ في برلين المتخصص في الفلسفة الإغريقية، تقسيما ثلاثيا مثل هيجل، لكنه ليس قائما على جدل الفكرة والنقيض والتركيب، بقدر ما قام على "روح الفكر" بين الذاتية والموضوعية. وبهذا فهو لم يخرج كلية عن روح الفلسفة الهيجلية. والمراحل التي اقترحها هي:

- المرحلة التوكيدية: توجه الفكر هنا إلى دراسة الطبيعة، لذا فهي مرحلة توكيدية طبيعية، وتأتي توكيديته من أنه يقر بإمكانية تحصيل المعرفة الصحيحة تجاه الطبيعة.

- المرحلة الشكية: تبدأ مع السوفسطائية التي تنبهت إلى خطأ التوكيدية الطبيعية، على أساس أن المعرفة نتاج الإنسان المتغير.[21] لكن فلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو فصلت بين الذات والموضوع من خلال فصل الحقيقة عن الذات.

- المرحلة الثالثة: "هو مغالاة في النتيجة التي انتهي إليها أرسطو وأفلاطون، لأنهما قالا بأن الوجود الذهني هو الوجود الحقيقي، ومعنى هذا أن الوجود الحقيقي هو الوجود الذاتي، ومعنى هذا أيضا أن الكمال هو في الذات وأن الموضوع ليس شيئا من شأنه أن يكمل الذات. فالنتيجة إذ أن ينعكف الإنسان على الذات ويصرف النظر نهائيا عن الموضوعات الخارجية (...) فهذا الدور فرق أكثر فأكثر بين الموضوع وبين الذات، حتى جعل الذات مستقلة استقلالا تاما، مكتفية

[18] عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 174.

[19] هيجل: محاضرات في تاريخ الفلسفة (مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها)، مرجع سابق، ص 324.

[20] عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 174، 175.

[21] Edouard Zeller: philosophie des Grecs considérée dans son développement historique, traduit par Emil Boutroux, tome III, 2eme partie, Librairie Hachette, Paris, 1884, p 1-2.

بنفسها. فهناك الذات منحصرة في نفسها، وهناك المبدأ العالي البعيد كل البعد عن الذات، فنشأ عن هذا تناقض، لأن الذات لا تستطيع أن تتصل بهذا المبدأ العالي، وفي هذا التناقض وقعت الفلسفة اليونانية فكان به فناؤها".[22]

4-تحقيب نيتشه.

إذا كانت أدبيات تاريخ الفلسفة تجعل الفلسفة اليونانية قد مرت بثلاث مراحل: مرحلة التمهيد التي امتدت من الوعي الشعري الهوميري إلى الإتجاه الريبي السفسطائي. مرحلة التفتق والذروة مجسدة في أخلاقية سقراط ومثالية أفلاطون وعلمية أرسطوطاليس. وأخيرا مرحلة التراجع والانكماش مجسدة في المدارس الأخلاقية المتأخرة مثل الرواقية والأبيقورية والكلبية والشكية والفلسفة الدينية الهلنيستية ممثلة في مدرسة الإسكندرية عموما، والأفلوطينية على وجه الخصوص. فإن نيتشه يخالف هذا التقسيم، ويختزله إلى مرحلتين لا ثالث لهما، وهو تقسيم قائم على جدلية العقل والغريزة في الحضارة اليونانية، أو حسب عبارات نيتشه المقابلة بين ديونيزوس وأبولون:

أ- **مرحلة التراجيديا أو العبقرية الإغريقية:** والتي تمتد تاريخيا إلى غاية نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، أي العصر الذي ازدهر فيه كل من الفيلسوف سقراط (توفي سنة 399ق م) والشاعر المسرحي يوريبيديس (توفي سنة 406 ق م). وتضم هذه المرحلة أدباء مثل: هوميروس واسخيليوس وسوفوكليس، وفلاسفة أمثال طاليس وأناكسيمندريس وهيراقليطس وبارمنيدس وأناكساغوراس و ديموقريطس، و رجال الدولة أمثال بيريكليس الأثيني. والطابع العام الذي يميز كل هؤلاء اليونانيين الأوائل – ما عدا بارمنيدس ومدرسته المثالية – هو أن عواطفهم في رأي نيتشه كانت تفيض بالحياة، فتم أرضنة الغرائز، وعملوا على التمسك بالعالم والوجود كما هو، رغم طابعه المأساوي اللاغائي. كما يتميز فكر كل هؤلاء الأدباء الشعراء والفلاسفة والسياسيين؛ برفضهم لفكرة ثنائية العالم، بل إنها لم ترد على أذهانهم البتة. فقد كانوا ديونيزوس من خلال تمجيديهم للغرائز الجنسية، و احتفالهم بالفصول السنوية التي تنبثق منها الحياة و القوة و الرجولة، مثلما تتفتق أوراق الكروم الفتية وقت الربيع.

وبهذه الخصائص الحيوية الفعالة، تفلسف الإغريق وهم أقوياء. وبذلك أنتجوا فلسفة تراجيدية أدركت بحق " قيمة الحياة "، كونها صراع للإنسان من أجل القوة والاستمرار، وما الفن والأدب والشعر إلا وسائل لتقوية هذا التمسك بالحياة و قبولها على حالها. وإذا تفلسف اليونان في عصر قوتهم، فإن هذا يعني أنهم مصدر الفلسفة الحقة، فلسفة المأساة و الواحدية في الوجود، وبالتالي لا يمكن اعتبار باقي الأمم الشرقية قد ساهمت في إنشاء الفكر الفلسفي، على اعتبار أن فكرهم ديني مؤسس على المقدس المفارق، كما أنهم هم مبدعو فكرة العالم الآخر، والمعلوم أن هذه الفكرة تقف على طرف النقيض مع الفكرة التراجيدية. وبهذا الاعتبار يسلك نيتشه نفس طريق هيجل في رفضه أي كرامة فلسفية للفكر الشرقي القديم، السابق والمعاصر للحضارة اليونانية في القرن السادس قبل الميلاد. رغم الخصومة الفكرية القائمة بينهما.

أطلق نيتشه على المرحلة السابقة لسقراط اسم العصر المأساوي، لأن عواطف هؤلاء كانت تفيض، في رأيه، بالحياة وغرائزهم كانت أرضية، هم شجعان لا يعرفون للخوف معنى، رغم أن العالم غير معقول.[23] وتأتي عظمة هؤلاء الفلاسفة الذين على شاكلة:

[22] عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 177-178.

أناكسيمندريس وهيراقليطس وأمباذوقليس، من كونهم طرحوا في نظر نيتشه أهم سؤال يمكن للفلسفة أن تطرحه؛ وهو " قيمة الحياة ".[24] فرغم فظاعة الحياة وتناقضاتها، فإن اليونانيين الأوائل لم يتعذروا بهذه الأسباب للانفصال عنها ونبذها. من خلال استبدالها بعالم آخر، بل على العكس من ذلك تماما، ازدادوا انغرازا في الوجود الكائن، وقاموا بتأليه الحياة، وما الأعياد الديونيزوسية المرتبطة بتطور الكروم خلال فصول السنة إلا دليل على التمسك بالحياة.

فيما يتعلق بتقسيم نيتشه للعصر الأول للفلسفة اليونانية، الذي يسميه العصر المأساوي فهو لا يبدو مؤسسا على فكرة مسبقة و مدروسة مثلما فعل كل من هيجل و تسيلر واشبنغلر وبدوي. كما أننا لم نعثر أثناء إعداد هذا البحث على دراسة تهتم بهذه المسألة بالذات، أي تحقيب نيتشه للمرحلة السابقة لسقراط. ما عدا الإشارة التي قدمها الباحث المغربي الدكتور محمد الشيخ، فرغم الأهمية الفائقة لبحثه المعنون " نقد الحداثة في فكر نيتشه" إلا أنه قسم هذه المرحلة تقسيما غير دقيق أو مؤسس، فقد قسم هذه الحقبة المأساوية كما يلي: " على المستوى الأول – يقول محمد الشيخ – هذا أناكسيمندر عبر في جملته الملغزة (...) وهذا هيراقليطس أنشأ تصورا مرعبا و مذهلا لعالمنا (...) والأمر نفسه يقال بالإضافة إلى أناكساغوراس (...) وعلى المستوى الثاني، هذان أمباذوقليس وديمقريطس كانا يسيران في الطريق الأصوب لتقدير الوجود الإنسي...".[25]

ب– **مرحلة الانحطاط والأفول:** تمتد هذه المرحلة تاريخيا من القرن الرابع قبل الميلاد مع شخصية الفيلسوف سقراط إلى غاية القرن الثاني بعد الميلاد، أين امتزجت الفلسفة المثالية بالدين من خلال مدرسة الإسكندرية. و الخط الفاصل بين العصر الأول و العصر الثاني هو مبدأ " الحقيقة والحياة ". فإذا كانت الفلسفة التراجيدية تجعل الحكمة كامنة في الوجود كما هو معطى لنا، فإن فلسفة الانحطاط قلبت المواقع، و وضعت المعرفة فوق الحياة. و بذلك انطفأت شعلة الغريزة المتعلقة بالوجود واستبدلتها ببرهان العقل. و من هنا فإن الفلسفة المثالية التي تمجد العقل على حساب الغريزة والحواس، هي الفلسفة المعادية للفلسفة التراجيدية، و التي مثلها كل من سقراط و أفلاطون وأرسطوطاليس. و رغم أن المدارس الأخلاقية قد عارضت منطق المثالية من خلال تفضيل العمل على النظر، إلا أن هذه المعارضة هي معارضة ضعف و تراجع، لأن الهجوم على المعرفة والميتافيزيقا لصالح الأخلاق، ما هو في الحقيقة إلا علامة على الشقاء والتهرب من البحث النظري المعمق، و الذي يتطلب إعمال الفكر و تنشيط التأمل. وإذا كانت المرحلة التراجيدية، تجعل الفرد تابع لجماعته و دولته، و يتخذ من الصالح العام معيارا لسلوكه، فإن الفلسفة الأخلاقية كتركة سقراطية وأفلاطونية قد جردت الفرد من وسطه المديني، وجعلت " السعي وراء السعادة الشخصية " هو طابعه و خاصيته الأساسية. وإن كان استعمال العقل بإفراط هو السبب الفلسفي لانحطاط الحضارة اليونانية القوية، حسب نيتشه، فإن السبب السياسي هو فتوحات الاسكندر المقدوني، إذ فتح المجال لدخول معتقدات الشعوب الشرقية التي تؤمن بمبدأ وجود عالم آخر لا أرضي وراء هذا العالم الموجود هنا. مما تسبب في اضطراب غرائز اليونان الأرضية. و تشوش مبدأ أحادية الوجود كعنوان للنظرة التراجيدية القوية والشجاعة.

---

[23] René barthelot : un romantisme utilitaire étude sur le mouvement pragmatiste – la pragmatisme chez Nietzsche et chez Poincaré, librairie Félix Alcan, Paris, 1911, p 38-39.

[24] Charles Andler : Nietzsche sa vie et sa pensée II, le pessimisme esthétique de Nietzsche –la maturité de Nietzsche, librairie Gallimard N R F Paris 2eme édition, (s.d) , p 83.

[25] محمد الشيخ: نقد الحداثة في فكر نيتشه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص 224 – 226.

إن تأويل نيتشه للمرحلة التي تمتد من بداية القرن الرابع إلى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، هو تأويل و فهم ثوري جدا، بحيث أنه خالف تيار المؤرخين و الفلاسفة، و أخذ يثبت عكس ما هو مألوف و شائع و متداول في أدبيات تاريخ الفلسفة اليونانية. فإذا كان سقراط و أفلاطون و أرسطو؛ هم عنوان عظمة الفلسفة عند اليونان القديمة، و الصورة التي تمثل ذروة الفكر الهيليني، فإن نيتشه نسف كل ذلك، ومسح بجرة قلم كل هذه الاعتقادات، و اعتبر هذه الفترة فترة بداية الانحطاط والضعف. وهكذا، فالفلسفة اليونانية لم تمت مع موت أرسطو مثلما قال " أوغست كونت ".[26] إنما بداية موتها كان بزمن سابق بكثير، أي مع سقراط و تلميذه، و أرسطو لم يفعل أكثر من تكريس وتثبيت و تعميق الانحطاط الذي بدأ بهما.

الحجة التي يبرر بها نيتشه وجود قطيعة بين الفلاسفة الأوائل الذين يسميهم فلاسفة المأساة، والفلاسفة المتأخرين بداية من سقراط؛ هي أن المفكرين الهلينيين الأوائل لم يفصلوا الحقيقة عن الحياة، و الفلسفة عن الواقع، و الحكمة عن الوجود. و القلب الذي شكل ظاهرة الانحطاط يتمثل في وضع المعرفة فوق الحياة، حيث توقف اعتبارها أداة في يد الغريزة الحيوية. وهذا التحول هو الظاهرة الكبرى التي نلمسها عندما ننتقل من الفلسفة التراجيدية السابقة لسقراط، إلى مرحلة سقراط وأتباعه. وهذا الانتصار للمعقولية على الغرائز الحيوية، و الذي تم في زمن قصير جدا، هو الذي أدى إلى سقوط كل الحضارة اليونانية أو الإغريقية.[27] وهذه المعقولية لا تعني في الحقيقة إلا قلب المواضع، فبعدما كان الشعري هو الذي يطفو على سطح الوعي الإغريقي، تم إغراقه وخنقه وإسكاته لصالح المنطقي، وهذا ما يشكل، في نظر نيتشه، الخطأ المميت لليونان.[28]

بالنسبة لنيتشه، هناك سبب تاريخي أيضا، إلى جانب السبب الميتافزيقي (فلسفي) أدى إلى انحطاط الفلسفة و الحياة و الحضارة الإغريقية، و قد حدده في الفقرة الأخيرة من " كتاب الفيلسوف "، حيث اعتقد أن الحروب الفارسية والتوسع والفتوحات التي أحرزها الاسكندر المقدوني، هذا " الأخيل الجديد "، هي التي أدت إلى سقوط أهم نازع تراجيدي وهو الصراع و التنافس الذي كان سائدا في نظام الدولة المدينة(Polis).[29] و بالفعل فإن الاسكندر عندما أعلن نفسه إمبراطورا(و إلها) على بلاد اليونان والفرس، أسقط نظام الدولة المدينة، وأزال كل الحواجز بين الشرق والغرب، لكن سيطرة الاسكندر على الشرق لم يعن استسلامهم و خضوعهم ، بل على العكس فقد تأثر الغرب بهم و تم نقل النظام الفارسي الإمبراطوري إلى اليونان وروما. وبصورة مختصرة: "إن اليونان – مع فتوحات الاسكندر – عرضوا على الشرق الفلسفة، والشرق عرض على اليونان الدين، وكانت الغلبة للدين (...) وكانت أعمق فتوح الاسكندر أثرا نتيجة أبعد ما تكون على العقول، ألا وهي اصطباغ الروح الأوربية بالصبغة الشرقية ". وهذا يعني أن احتكاك اليونان بالحضارة الشرقية لم يكن في صالحهم أصلا، فرغم أن الفتوحات كانت من طرفهم، وعبرت عن سيطرة الحضارة الغربية، لكن في الحقيقة أن العكس هو الذي حدث. ويعبر عن ذلك عبد الرحمن بدوي قائلا: "جاء الاسكندر ففتح أبواب الثقافة اليونانية للشرق، وفتح بذلك أبواب الثقافة الشرقية لليونانيين، فحدث عن هذا الامتزاج بين الثقافتين مزيج جديد هو ما يسمى باسم "

---

[26] Jean Beaufret : Dialogue avec Heidegger- la philosophie grecque, les éditions de minuit, Paris, 1987, p 37.

[27] René Berthelot : un romantisme utilitaire, étude sur le mouvement pragmatiste – la pragmatisme chez Nietzsche et chez Poincaré, librairie Félix Alcan, Paris, 1911, p 34.

[28] بيير بودو: نيتشه مفتتا، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 1996، ص 10.

[29] Friedrich Nietzsche : le livre de philosophe, édition Segma, Alger, SD, aph 199, p 155 – 156.

الهلينية " وبهذا التزاوج بين الثقافة اليونانية والثقافة الشرقية حدث نوع ما يسميه اشبنجلر باسم " التشكل الكاذب"(...) وحينئذ استطاعت الثقافة اليونانية في بادئ الأمر، أن تفرض سلطانها (...) لكن – كما يحدث دائما من امتزاج جنس أعلى بجنس أدنى – حدث فساد و انحطاط في مستوى الجنس الأعلى لحساب الجنس الأدنى وهكذا حدث بالنسبة للحضارة اليونانية إذ غزتها الحضارة الشرقية بما فيها من تهاويل وأمور تتصل بالخوارق والسحر ".[30]

ثالثا– التجربة العربية في تحقيب الفلسفة الإغريقية.

1–عبد الرحمن بدوي:

تأثر الدكتور عبد الرحمن بدوي (2002/1917) بالتقسيم الحضاري الذي قدمه شبنجلر (1936/1880)، حيث قدم هذا الألماني تقسيم طبيعي يشمل كل الحضارات، أي أنها جميعا تمر بما تمر به السنة: ربيع، صيف، خريف، وشتاء. وحتى الفرد الطبيعي يمر بهذه الفصول في حياته. وبالتالي فإن تاريخ الحضارة اليونانية قد مرت بالمراحل الأربعة:

- **ربيع الحضارة اليونانية:** مثل الموروث الميطيقي والشعري عند كل من هوميروس وهوزيود وهي بداية جديدة لرؤية العالم.
- **صيف الحضارة اليونانية:** شكل دور للإصلاح من خلال أعمال كل من الميثولوجية الأورفية والفلسفة الطبيعية والفيثاغورية. وقد أكد شبنجلر بأن الأدوار الأولى لأي حضارة، أي الربيع والصيف، تكون دوما مصبوغة بصبغة دينية.[31] والمراحل اللادينية تأتي في النهاية دوما. وهذا ما يتطابق مع فرضية أصل الفلسفة الديني كما حللناها سابقا.
- **خريف الحضارة اليونانية:** بداية من السوفسطائية التي مثلت مرحلة تنويرية، حيث تتابعت فلسفة سقراط المفهومية ورياضيات أفلاطون وأرخوطاس. وتشكل الفلسفات الكبرى مثل الأكاديمية واللوسيوم.
- **شتاء الحضارة:** ما بعد فلسفة أرسطو، توجهت الفلسفة من النظر إلى العمل على يد المدارس الأخلاقية الرواقية والأبيقورية، وهنا تنتهي الفلسفة الإغريقية. وبالتالي فالأفلاطونية المحدثة، خارجة كلية عن الروح الإغريقية، بل تنتمي حسب اعتقاده إلى الحضارة العربية السحرية.[32] وكان دوما ينعتها بالحضارة غير الناضجة والتي لا يمكن أن تحققه.[33] فالسحر هو على الأقل مرحلة ما قبل النضج العلمي أو العقلي.

أما بدوي، والذي خصص سلسلة لتاريخ الفكر الإغريقي، فإنه لم يفعل الشيء الكثير مقارنة بما قدمه اشبنجلر، بل طبق هذا التحقيب بصورة كلية من خلال تأليفه:

---

[30] عبد الرحمن بدوي: خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة العربية توزيع دار القلم بيروت ، الطبعة الخامسة، 1979، ص 5 – 6.

[31] عبد الرحمن بدوي: اشبنجلر، وكالة المطبوعات، الكويت، 1982، ص222.

[32] عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 178–179.

[33] أسوالد اشبنجلر: تدهور الحضارة الغربية، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 387.

- **ربيع الفكر اليوناني:** البداية دينية مع هوميروس وهوزيود، حيث أن الفلسفة تأخذ رموزها من الدين. ثم الفلسفة الطبيعية (المدرسة الأيونية) والمدرسة الفيثاغورية، والمدرسة الإيلية (اكسينوفان وبارمنيدس، وزينونوميليسيوس)، وهيراقليطس، والفلسفة الذرية حتى اناكساغوراس. [34] ويبدأ عصر التنوير مع النزعة السوفسطائية التي تم رد الاعتبار لها في العصر الحديث.[35]

- **صيف الفكر اليوناني:** العصر الثاني ورد في كتاب أفلاطون، وميزته هو كونه فلسفة ماهيات الأشياء وليس الأشياء.[36] وبما أن المرحلة الأولى انتهت بالنزعة السوفسطائية، فإن هذه المرحلة تبدأ بسقراط ثم أفلاطون (348/428) وأرسطو حيث بلغت فلسفة التصورات أوجها عنده، ثم المدارس السقراطية الصغرى (الكلبية، والقورنائية، والميغارية).

- **خريف الفكر اليوناني:** يمثل المرحلة الثالثة التي اتسمت بالصبغة العلمية والأخلاقية في مقابل الصبغة النظرية والتصورية.[37] والعامل الفعال في هذا التحول الجذري هو الفتوحات على الشرق بعد حملة الإسكندر المقدوني، وهنا ينتحل بدوي نظرية نيتشه في ما أسماه بالشر الشرقي الذي حطم الروح الإغريقية. وتشمل هذه المرحلة الفلسفة الرواقية، والأبيقورية، والشكاك (البيرونية) أين تم شكل إمكانية المعرفة مع الشكاك المحدثون بخاصة أنسيداموس وأجربا.[38]

- **شتاء الفكر اليوناني:** في هذه المرحلة عارض بدوي شبنجلر الذي أخرج الفلسفة الأفلاطونية المحدثة عن روح الفكر الإغريقي. إذ يقول: "بخلاف ما يقوله شبنجلر، نريد أن ندخل الفلسفة الأفلاطونية المحدثة في داخل الحضارة اليونانية".[39] وتشمل هذه المرحلة كل من فيلون الإسكندري والأفلاطونية المحدثة (أفلوطين، يامبليخوس، أبرقلس في الدور الثالث).[40]

2-الطيب بوعزة.

يمكن اعتباره أمهر مؤرخ فلسفة معاصر، حيث خصص ثمانية كتب للمرحلة السابقة على سقراط. وتميز طرحه باعتماد منهج واضح ومستجد في فهم هذه الفلسفة. وقد شكل نظرية ثلاثة للفكر الغربي ذكرنها مقدما وهي المرحلة اللوغوسية (الإغريقية والوسيطية)، والمرحلة التقنية (الحديثة) والمرحلة الإيروسية (الما بعد حديثة). أما تحقيبه للفلسفة الإغريقية فقد رسمه، في أربعة مراحل، وهو يشبه إلى حد ما مبدأ تقسيم ادوارد تسيلر أعلاه. على الشكل التالي: "الفرضية التي نشتغل بها في تحليل الفلسفة اليونانية هي أنها تشهد أربع آنات ناظمة لعلاقة الوعي بالمعنى الكلي هي:

1- الثقة في أداة الإدراك. (الطبيعيون والذريون).

---

[34] عبد الرحمن بدوي: ربيع الفكر اليوناني، وكالة المطبوعات، الكويت ودار القلم بيروت، الطبعة الخامسة، 1979، ص 71.

[35] المرجع نفسه، ص 165.

[36] عبد الرحمن بدوي: أفلاطون، وكالة المطبوعات، الكويت ودار القلم بيروت، 1979، ص 4.

[37] عبد الرحمن بدوي: ربيع الفكر اليوناني، مرجع سابق، ص 71.

[38] عبد الرحمن بدوي: خريف الفكر اليوناني، وكالة المطبوعات، الكويت ودار القلم بيروت، الطبعة الخامسة، 1979، ص 85.

[39] عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 179.

[40] عبد الرحمن بدوي: خريف الفكر اليوناني، مرجع سابق، ص 120.

2- والشك في محصول الإدراك(السفسطائية).

3- ثم اعادة التأسيس المنهجي لمحصول الإدراك. (المنطق: سقراط، أفلاطون، أرسطو).

4- فالانتقال من المعرفي إلى العملي (الرواقية، الأبيقورية: الإلتذاذ بالوجود). 25 والإيماني (مدرسة الإسكندرية)".[41]

والملاحظ على هذا التقسيم، أنه طابق من الناحية المنهجية بين المرحلة الأولى التي ضمت الفلسفة الطبيعية والذرية والمرحلة الثالثة التي ضمت فلاسفة أثينا الكبار. وهي مطابقة تبدو لنا غير سليمة على أساس أن الوعي المنهجي لم يكن واحدا في كلا المرحلتين. كما أنه جعل المرحلة الثانية مرحلة مستقلة رغم قصرها، ثم أن هذه المرحلة السوفسطائية لا تنفصل إطلاقا، سواء من حيث الموضوع أو المنهج عن شخصية سقراط التي وضعها في المرحلة الثالثة. والمدهش أن الطيب بوعزة على وعي تام بذلك، بحيث اعتبر سقراطي سوفسطائيا في كتابه الموسوم بـ "السوفسطائي سقراط وصغاره". ثم أن الجمع، في المرحلة الرابعة بين المدارس الأخلاقية والتوجه الإيماني في الإسكندرية، هو جمع ليس له أي أساس، لأن الاخلاق الرواقية والأبيقورية لم تؤسس إطلاقا على الإيمان كما نجده في الأفلاطونية المحدثة. لذا يبدو لنا هذا التقسيم غير مدروس بالدقة المطلوبة. بل يحتاج إلى تدقيق ومراجعة من أجل تطويره وتبريره.

خلاصة.

كما هو ظاهر، فإن تقسيم مراحل الفلسفة الإغريقية قد خضع لخلفيات فلسفية. وهذا ما يفسر وجود أكثر من تحقيب. والحق أن أرسطو، والذي يعتبر أول مؤرخ للفلسفة الإغريقية السابقة عليه، قد وضع تقسم لها انطلاقا من فلسفته الخاصة، لذا فإن تأريخه كان فلسفيا. بل أنه لا يمكن لفيلسوف أن يكون مؤرخ فلسفة موضوعية ينقل الأمور على حالة، بل، وبما أنه فيلسوف، فإنه يفهم الأمور والأفكار والتاريخ انطلاقا من فلسفته الخاصة. وأرسطو عندما أرخ للفلسفة السابقة عليه، أولها باعتبارها فلسفة طبيعية، ومال إلى اغفال التأثيرات الدينية في تلك الفلسفات، حيث يقدم التأثيرات الدينية على أنها مجرد فرضيات أو اعتقادات لا يجب الأخذ بها.[42] مما يعكس نزوعه العلمي والوضعي في فهم الأمور. ولعل هذا ما جعل كل الفلاسفة العلميين يستندون إلى منظوره المخصوص إلى الوجود.

كل التقسيمات السابقة عجزت عن ايجاد الخيط الناظم لهذه الفلسفات. كما عجزت عن تقديم تقسيم متعادل للمراحل. لربما أنه ليس هناك أي خيط ناظم، وكل المراحل مجرد اجراء اصطناعي، مثلما اعتقد ريتر Reter، على أساس أن "التاريخ لا يعرف توزيعا أو تقسيما مرحليا، وإنما مجرد فعل من أفعال المؤرخ.[43] ونحن نبرر تعدد التقسيمات إلى تطبيق المبادئ الفلسفية الذاتية على مجموعة من النصوص المخلفة لنا. إذ الأكيد أن النصوص السابقة على سقراط لم تصلنا كلية ومكتملة، مما يؤكد وجود ثغرات لا يمكن ايجاد محتواها المعرفي، وبالتالي فإن أي ربط سيكون عشوائي.

---

[41] الطيب بوعزة: الفلسفة اليونانية ما قبل السقراطية- الفلسفة الملطية أو لحظة التأسيس، مرجع سابق، ص 28.

[42] [42] Aristote : la métaphysique, traduit par jules Barthélemy saint – hilaire, poket –brodard et taupin, 1991, § 984 a, p 50.

[43] الطيب بوعزة: الفلسفة اليونانية ما قبل السقراطية- الفلسفة الملطية أو لحظة التأسيس، مرجع سابق، ص 164-165.

بما أن الفلسفة ذات طابع إشكالي، فإن تأريخها لن يكون غير ذلك. وهذا منطقي، على اعتبار أن الفيلسوف ينقل معاركه من الفلسفة إلى التاريخ، فيبحث ويفتش فيها على كل ما يساند أطروحته، ومن ثم يدحض كل الفلسفات الأخرى المخالفة له. لذا صدق جاك لوغوف عندما قرر بأن تاريخ الفلسفة اشكالي في ماهيته.[44] وهذا لا يصدق على تاريخ الفلسفة اليونانية فحسب، بل على كل التواريخ اللاحقة وحتى السابقة. ولئن كان الأمر كذلك، فليس لنا البحث عن التقسيم الحقيقي لتاريخ الفلسفة اليونانية، لأنه ببساطة غير موجود، كل ما هو موجود يتمثل في محاولة الفلاسفة في ايجاد معنى ما لمجمل الفلسفات المخلفة لنا. لكن ايجاد المعنى الكلي غير متاح، نظرا للفجوات الكثيرة بخاصة في المرحلة السابقة على سقراط، حتى أن أرسطو في زمانه لم يكن يتحدث عن الفيثاغورية حديث متيقن توفرت له المصادر، فهو يشير إلى "الفيثاغوريين" بالمجمل،[45] مما يدل على أنه لم يحصل مؤلفات مخصوصة لأصحابها.

ننهي المحاضرة بملاحظة نقدية في حق مؤرخ الفلسفة الطيب بوعزة، والذي اعتقد بأن الانتقال من مرحلة إلى أخرى، أي سيرورة التاريخ الغربي، من المرحلة العقلية إلى المرحلة التقنية إلى المرحلة التلذذية، هو دالة تأزم فكره. ويعتبر عن ذلك بقوله: "الانتقال من صيغة إلى أخرى (اللوغوس، التقنية، الإيروس) تعبير عن أزمة عميقة تثوي داخل الفكر الفلسفي ناتجة عن فقدان الإمكان الميتافيزيقي لتأسيس العلاقة الإدراكية. فالتراجع عن العلاقة الإدراكية إلى العلاقة الإلتذاذية الإيروسية يجد تفسيره في أزمة الحقيقة، وفقدان المعنى نتيجة تقويض الميتافيزيقا (...) لذا لم تجد فلسفة ما بعد الحداثة من مسلك سوى التوصية بالاكتفاء بالإلتذاذ بالوجود بعد أن عجز اللوغوس الفلسفي عن محاولة إدراكه وفهمه (...) وهو فراغ لا يمكن تعويضه– من منظورنا– إلا بإعادة تجديد الوعي الفلسفي تجديدا دينيا".[46] ووجوه النقد تكمن في تطبيع الصيرورة التاريخية، فالانتقال من مرحلة إلى أخرى دون توقف، ليس دالة أزمة بل أنه وضعية طبيعية للفكر. على أساس أن الأزمة في السكون في مرحلة واحدة دون أدنى حركة أو نمو. أما الانقلاب والتجريب، فهي الوضعية الطبيعية لإنسان يعمل بعقله دون توقف. أما التعليل الديني، فيجب التأكيد على أن الغرب لم ينقطع ولو لحظة واحدة عن الدين، إنما كان بصدد البحث عن الدين، لأن العدمية الغربية ليست انكارا للدين بقدر ما هو بحث عن المقدس الذي لم يتواصل مع البشر منذ قرون وقرون. لذا فلا يمكن تصور الدين حالة سكونية نعتنقها وننتهي، بل البحث عن حقيقة الدين يمثل الموقف الديني الأصيل.

---

[44] جاك لوغوف (إشراف): التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2007، ص 102.

[45] Aristote : la métaphysique, Op.cit, § 1093 a, p 498.

[46] الطيب بوعزة: في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة – نقد التمركز الأوروبي، مرجع سابق، ص 19.